خطب الحجاج بن يوسف: دراسة بلاغية

عصام حسين أبو شندي

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية التربية والآداب، جامة تبوك، المملكة العربية السعودية

الملخص

من الجوانب المميزة في شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي، قدرته البيانية الفائقة، التي تجلت بشكل خاص في "خطبه" التي روتها لنا كتب التراث العربي؛ بحيث كانت هذه الصفة واحدة من الأدوات المهمة، التي مكنته من الإسهام بدور فاعل في تثبيت حكم البيت الأموي، والقضاء على خصومهم السياسيين والعسكريين في ذلك الزمن.

وبمقاربة هذه الخطب يجد المرء أن معظمها، يزخر بقدر وفير من "العناصر البلاغية"، التي لعبت دوراً مهماً في مدّ الخطب بفاعلية واضحة وقدرة على التأثير في المتلقين، عن طريق إسهامها في رفع إيقاع الخطاب فيها؛ الأمر الذي تولّد نتيجة ثلاثة أمور: أولها تنوّع العناصر البلاغية ما بين عناصر معنوية وبيانية وبديعية؛ إذ احتوت الخطب على مؤكدات الجمل الخبرية والجمل الإنشائية، والتشبيهات والمجازات المرسلة والاستعارات والكنايات، فضلاً عن المحسنات البديعية اللفظية منها والمعنوية، وثانيها تعدّد هذه العناصر نتيجة تكرار الحجاج لإيرادها في أبنية الخطب، وثالثها الثراء الذي أمدت به هذه العناصر البلاغية الخطب، بالدلالات والصور البلاغية والمؤثرات البعيدة الإيحاءات؛ بحيث شكلت هذه (النصوص/الخطب) الزاخرة بهذا القدر الوفير من العناصر البلاغية، أداة مهمة في يد (المبدع/الحجاج)، لإسقاط ما في نفسه من عظمة وتعال ورغبة في تثبيت هيبة الدولة الأموية، للتأثير في (المتلقين/المخاطبين) وهم في أغلبهم من خصومه السياسيين والعسكريين، من أهل العراق والحجاز خاصة، بغية إخضاعهم وبث الرعب في نفوسهم، في تلك السياقات التي غلبت عليها أجواء الضغينة والتهديد والوعيد. وهذه الورقة تهدف إلى إجراء "دراسة بلاغية" لهذه الفعالية التي أسهمت بها العناصر البلاغية في إظهار خطب الحجاج بهذه القوة المعهودة فيها، في ثلاثة محاور: أولها "بلاغة علم المعاني"، وثانيها "بلاغة علم البيان"، وثالثها "بلاغة علم البديع".

المقدمة

يُعدّ الحجاج بن يوسف الثقفي من الشخصيات التي أثارت جدلاً في تاريخ الأمة العربية عامة وتاريخ بني أمية خاصة؛ نظراً للدور السياسي والعسكري الذي أداه في خدمة البيت الأموي، وتثبيت حكمهم والقضاء على خصومهم السياسيين والعسكريين، في ظل أجواء الثورات وحركات التمرد على الخلفاء الأمويين من قبل خصومهم في العراق والحجاز، التي شهدها معظم العصر الأموي في إطار الصراع على منصب الخلافة. وقد ساعد الحجاجَ في هذا الجانب شخصيته القوية، التي كان من أبرز ملامحها فصاحته وقدرته البيانية المتميزة، التي ظهرت وتجلت في خطبه ومقالاته التي روتها كتب التراث العربي.

وبمقاربة هذه الخطب يجد المرء أن معظمها يزخر بقدر كبير من القوة والقدرة الواضحة على التأثير في المتلقين، وذلك من خلال الارتفاع البارز والملحوظ في "إيقاع الخطاب" فيها؛ الأمر الذي يتجسد من خلال اعتماد الحجاج بكثرة على استخدام الألفاظ الجزلة والجمل الفصيحة والعناصر البلاغية الحاضرة بوضوح، فضلاً عن توظيفه لجوانب من ثقافته من خلال إيراده الآيات القرآنية والنتف الشعرية والأمثال والأقوال السائرة، التي تتناسب مع السياقات التي قال فيها تلك الخطب، والتي تتصف في الغالب بالحدة في أجواء التهديد والوعيد والزمجرة، في تلك الأجواء السياسية والعسكرية المحتقنة.

والأمر اللافت للانتباه في هذا المقام، هو تنوع "العناصر البلاغية" وتعددها في تلك الخطب، بين عناصر معنوية وبيانية وبديعية، وفعاليتها في مدّ الخطب بالقوة المعهودة فيها. لذلك فقد عمدت إلى دراسة هذه الظاهرة في هذا البحث "دراسة بلاغية"، حاولت فيها أن أبيّن الفعالية التي أسهمت بها هذه العناصر البلاغية، في مدّ الخطب بالقوة والارتفاع في إيقاع الخطاب المعهودين فيها، وذلك من خلال تركيز النظر إلى داخل (النصوص/ الخطب)، وتموضعها بين (المبدع/ الحجاج) من جهة و(المتلقين/ المخاطبين) من جهة ثانية، موظفاً في ذلك واحداً من معايير الدراسات الأسلوبية الحديثة، وهو المعيار الكمي، الذي وجدت أنه يساعدني في تشريح النصوص، وبيان الكم العددي الذي أسهم

به كل نوع من أنواع العناصر البلاغية الثلاثة. لذلك فقد قسمت البحث إلى ثلاثة محاور وفق التقسيم التقليدي لتلك العناصر: المحور الأول "بلاغة علم المعاني"، والمحور الثاني "بلاغة علم البيان"، والمحور الثالث "بلاغة علم البديع"، درست في كل واحد منها العناصر البلاغية التي تندرج تحت مسماه.

لافتاً انتباه القارئ الكريم هنا إلى ملحظين مهمين: أولهما أن هذه الدراسة قد انحصرت في خطب الحجاج خاصة من دون مقالاته؛ وذلك لأن كتب التراث قد روت له عدداً من المقالات التي كان يشترك فيها الحجاج في حوارات مع بعض الشخصيات هنا وهناك، وهذه المقالات لا تشكل نصوصاً متكاملة الأركان، يمكن البحث فيها عن العناصر البلاغية موضوع الدرس[1]، وثانيهما أنني اعتمدت على كتاب "**جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**" لأحمد زكي صفوت؛ بوصفه المصدر الرئيس الذي استخرجت منه خطب الحجاج موضوع الدراسة؛ لأن النظر فيه مغن عن التطواف في كتب التراث التي روت هذه الخطب.

آملا الوصول إلى نتيجة علمية مثمرة، بحول الله تعالى.

الدراسة

يلحظ القارئ لخطب الحجاج بن يوسف الثقفي[2]، غلبة أجواء الاحتقان والتهديد والوعيد على معظمها؛ ذلك أن القارئ يستطيع أن يتلمس مدى الانفعال الوجداني الذي كان ينتاب الحجاج في أثناء ارتجاله لمعظم تلك الخطب، من خلال قراءة العناصر اللغوية "السياقات الداخلية"، وربطها من ثم "بالسياقات الخارجية" التي قيلت فيها تلك النصوص، وهي الأجواء العامة التي كان الحجاج يلقي فيها خطبه، والتي كان يغلب عليها التوتر السياسي والعسكري. ومن أبرز العناصر اللغوية التي تميز أسلوب الحجاج في خطبه، تعدد العناصر البلاغية وكثرتها، التي تتوزع بين توظيفه لمؤكدات الجمل الخبرية واستخدام الجمل الإنشائية، والتشبيهات والمجازات المرسلة والاستعارات

والكنايات، فضلاً عن توظيفه لعدد من المحسنات البديعية اللفظية منها والمعنوية. لذلك فسوف أحاول دراسة هذا المظهر في المحاور الثلاثة التالية:

المحور الأول - بلاغة علم المعاني

مما لا ريب فيه، أن الفعالية التي أحدثتها العناصر البلاغية في هذا الجانب، انبعثت من كثرة اعتماد الحجاج في أبنية خطبه، على توالي "الجمل الخبرية" و"الجمل الإنشائية"؛ الأمر الذي أسهم بدور كبير في رفع إيقاع الخطاب في هذه الخطب. وقد يذهب القارئ إلى استغراب إدراج "الجمل الخبرية" في معرض الحديث عن الفعالية هنا، في حين قد لا يعتريه الاستغراب ذاته فيما يخص "الجمل الإنشائية"، اعتماداً على أن "الجملة الخبرية" لا يتوقع منها أن تكون ذات تأثير كبير؛ لأنها تحتمل فقط واحداً من احتمالين بعد نطق المتكلم بها: وهو الحكم عليها بأنها صائبة أو خاطئة، بحسب مطابقتها للواقع أو عدم مطابقتها له[3]. في حين أن "الجمل الإنشائية" يُطلب بها حصول أمر غير حاصل وقت الطلب؛ مما يجعل المتوقع منها في هذا الجانب أكثر. لكن هذا الاستغراب فيما يخص "الجمل الخبرية" سيزول إذا علمنا أن الحجاج قد أكثر من استخدام ما يسميه البلاغيون "**مؤكدات الخبر**"، فلم تعد المسألة هنا أن هذه الجملة صادقة أو كاذبة وحسب وإنما هي مؤكدة؛ الأمر الذي منح الجمل الخبرية قوة أسهمت إلى حد كبير في رفع إيقاع الخطاب بهذا الشكل المميز.

والجمل الإنشائية كذلك، سواء استدعت حصول أمر غير حاصل وقت الطلب أم لم تستدع، فإنها بطبيعتها الأصيلة، تضفي على الكلام قدراً من الفعالية البلاغية، بما تحويه من قسمات لغوية مؤثرة، من جمل طلبية كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، أو غير طلبية كالمدح والذم والتعجب والقسم والرجاء وصيغ العقود.

فالحاصل - إذن - أن الجملتين: "الخبرية المؤكدة" و"الإنشائية"، تمدان سياق الكلام في بناء خطب الحجاج بقدر كبير من الإيقاع المرتفع؛ نظراً لاعتماده عليهما بكثرة في خطبه؛ الأمر الذي يستدعي دراستهما مستقلتين فيما يلي:

أولاً - الجمل الخبرية

لا تكاد تخلو خطبة من خطب الحجاج من الجمل الخبرية التي تحتوي على المؤكدات، ولكنها تزيد أو تنقص بحسب درجة انفعاله في الخطب. ولعل خير تعريف "لمؤكدات الخبر"، أنها الأدوات التي تضاف إلى بناء الجملة الخبرية، لتوكيد الخبر في نفس من تلقى إليه الجملة؛ لإزالة التردد من نفسه إن كان متردداً في تصديقها، أو منكراً لحكم الخبر من حيث الأصل[4]؛ حيث يمكننا النظر إلى وجود هذه المؤكدات في ثنيات هذه الخطب من ثلاثة جوانب، هي:

أ - التنوع: إذ يبلغ عدد المؤكدات التي ذكرها البلاغيون ثلاثة عشر مؤكداً، هي: 1 - "إنّ" المكسورة الهمزة المشددة النون. 2 - لام الابتداء. 3- القسم وحروفه الباء والواو والتاء. 4 - ضمير الفصل. 5 - "أمّا" الشرطية المفتوحة الهمزة المشددة الميم. 6 - حرفا التنبيه: "ألا" و"أما". 7 - الحروف الزائدة: إنْ، أنْ، ما، لا، وحرفا الجر "من" و"ب". 8 - قد" التي للتحقيق. 9 - السين وسوف. 10 - "لن" التي لتأكيد النفي 11 - نونا التوكيد المثقلة والمخففة. 12 - تكرير النفي. 13 - إنّما[5].

وقد وظف الحجاج منها المؤكدات الآتية في خطبه:

- "إنّ" - لام الابتداء - القسم - حرفي التنبيه: "ألا" و"أما" - الحرف الزائد "ب" - قد" التحقيق - "سين" الاستقبال - نون التوكيد المثقلة - إنّما.

أي أنه قد وظف تسعة من ثلاثة عشر مؤكداً، وهذه نسبة كبيرة ولا شك، مع اختلاف نسب تكرار ورودها في أبنية خطبه، فالحكم بالتنوع الذي أشير إليه هنا، ينطوي على ثلاثة أبعاد: أولها توظيفه هذه النسبة الكبيرة من المؤكدات، وثانيها توزع هذه المؤكدات على أديم خطبه كلها: السياسية منها والوعظية، وعلى الرغم من تركزها الملحوظ في القسم السياسي أكثر مما هو في القسم الوعظي، فإن القارئ لا يعدم وجودها في القسم الوعظي بشكل ملحوظ أيضاً،

وثالثها أنه ينوع بين هذه المؤكدات في الخطبة ذاتها؛ فتجده يستعمل واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أكثر.

ولعلي أضرب مثالاً لبعض المقاطع المجتزأة من خطبه، للتدليل على أن المؤكدات التي أشرت إليها منتشرة في ثنيّات خطبه، وهي أقواله: " ألا إن ابن الزبير كان" / "أما والله إني لأحمل الشر بحمله... وإني لأرى... ولقد فُررت عن ذكاء... وإني أقسم بالله" / "إنما أفسدكم ترنيق ولاتكم... والله لا آمر أحدكم" / "يا أهل الشام، إنما أنا لكم كالظليم" / "يا أهل الكوفة... أما والله إن أبغضتموني لا تضروني... وما أنا بالمستوحش لعداوتكم... ثم التفت إلى أهل الشام فقال: لأزواجكم أطيب من المسك، ولأبناؤكم آنس بالقلب من الولد" / "ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر" / "وأيم الله إني لأحب أن أحشر..." / "وقد استخلفت عليكم ابني محمداً، هذا وما كنتم له بأهل" / "فلا يغرنّكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة" / "أيها الناس: والله لتقاتلنّ عن بلادكم وعن فيئكم" / "والذي لا إله غيره" / "أمّا بعد: يا أهل الكوفة، فلا أعز الله"[6].

ب - **التكرار**: فالمؤكدات التي وظفها لا تخرج عن التي أُشير إليها، ولكن تكرار استخدامها يؤدي إلى كثرة ملحوظة في عدد مرات ورودها؛ حيث يبيّن الإحصاء العددي[7] الذي أجريته أنه قد استخدم هذه المؤكدات في مائة وستة وأربعين موضعاً، سواء أكان هذا التكرار في الخطبة الواحدة نفسها، أم كان في المجموع العام لخطبه؛ حيث احتلت "إنّ" المكسورة الهمزة المشددة النون، المرتبة الأولى في الورود، بواقع أربع وأربعين مرة، ومن ثم "القسم" و"حرفا التنبيه: ألا وأما"؛ إذ تكرر ورود كل من هذين المؤكدين، في اثنين وعشرين موضعاً لكل منهما، تلتهما في ذلك "لام الابتداء" بواقع عشرين مرة، وجاءت "نون التوكيد المثقلة" في المرتبة الرابعة، بواقع ثلاث عشرة مرة، ومن ثم "قد التحقيق" التي تكررت في أحد عشر موضعاً، تلتها "إنّما" التي تكررت

ست مرات، بينما جاءت "سين الاستقبال" و"الحرف الزائد ب" في ذيل المجموعة، بواقع مرتين لـ"سين الاستقبال" ومرة واحدة "للحرف الزائد ب".

ومجيء هذه الأدوات بهذا التراتب ليس بمستغرب في نظري؛ فالأدوات: (إنّ - وحروف القسم - وألا وأما)، من الأدوات التي يكثر استخدامها للتوكيد في العادة، عند الحجاج وغيره، وقد وصف فضل حسن عباس الأداة (إنّ) - على سبيل المثال - بأنها "أصل التوكيد"[8]، أما لام الابتداء فهي غالباً ما تأتي مرتبطة بخبر (إنّ) أو في جواب القسم، فضلاً عن مجيئها منفردة في صدر الجملة، وكذلك (نون التوكيد المثقلة)؛ فهي غالباً ما ترتبط بجواب القسم، ولعل هذا ما جعلها تأتي في مرتبة تلي (القسم)؛ بمعنى أن هذه الأدوات يغلب عليها ورودها مترابطة منتظمة في السياقات. أما (قد التحقيق - وسين الاستقبال)، فلعل السبب في قلة ورودهما هو ارتباط موضوعات الخطب - في الغالب - باللحظة الحاضرة، وانتفاء بعدي: الزمن الماضي والمستقبل من سياقات الخطب التي كان يلقيها الحجاج آنذاك؛ نظراً لتركيزه - في معظمها - على تعنيف المخاطبين في "اللحظة الآنيّة"، مع الأخذ بعين الاعتبار أن (قد) يغلب عليها تحقيق الفعل الماضي وتوكيده، في حين أن (سين الاستقبال) تستخدم للفعل الذي سيقع في المستقبل.

ومن الأمثلة البارزة على تركز المؤكدات في خطبه السياسية، خطبته الشهيرة حين ولي العراق سنة خمس وسبعين للهجرة[9]، التي يقول في صدرها: "يا أهل الكوفة، أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله وإني لأرى أبصاراً طامحة، وأعناقاً متطاولة، ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها..."[10]؛ حيث يتبين أنه قد كرر توظيفه للمؤكدات في هذه الخطبة وحدها، في ستة وثلاثين موضعاً من هذه الخطبة، إذ استخدم: "إنّ" تسع مرات، ولام الابتداء عشر مرات، و"قد" التي للتحقيق مرتين، كما أنه أقسم بالله ست مرات بحرفي الواو والباء، واستخدم نون التوكيد المثقلة ست مرات، فضلاً عن توظيفه حرف التنبيه "أمَا" ثلاث مرات.

لكن هذا الزخم لا يتكرر في خطبه كلها وعلى المنوال نفسه؛ مما يؤكد

أنه مرتبط بحال الانفعال التي كان يمر بها الرجل ويغدو انعكاساً وتصويراً لها، فبقراءة بعض من خطبه الوعظية مثلاً، يجد المرء أن نسبة استخدامه للمؤكدات تنخفض بقدر كبير، ومن ذلك خطبته الوعظية التي يقول فيها: " أيها الناس، قد أصبحتم في أجل منقوص، وعمل محفوظ... جعلنا الله وإياكم من الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً "[11]، إذ لم يوظف في هذه الخطبة كاملة إلا "قد" المؤكدة مرتين، و"إنّ" مرة واحدة فقط.

ج- انتظامها في بناء الجمل: يروي البلاغيون أن إلقاء الجمل الخبرية يكون في ثلاثة أضرب: أولها أن المخاطب إذا كان خالي الذهن فإن الجملة الخبرية تلقى إليه خالية من أدوات التوكيد، وثانيها أنه إذا كان متردداً في الحكم شاكاً فيه، فعندئذ يتم توكيده في نفسه بإضافة أداة واحدة من أدوات التوكيد لإحلال اليقين محل الشك، هذا الضرب من الخبر الذي يسمى "طلبياً"، وثالثها أنه إذا كان منكراً لحكم الخبر، فيتم توكيده بمؤكدين أو أكثر، وهو الخبر الذي يسمى "إنكارياً"[12].

ومن الظواهر المطردة في خطب الحجاج، ترادف المؤكد والمؤكدين والثلاثة والأربعة في بناء الخطبة وانتظامها في سياق واحد؛ ما يعني رغبة الحجاج في توكيد معانيه التي يرمي إليها، وهذا الانتظام في إطار التكرار والتنوع اللذين أشرنا إليهما سابقاً، يؤدي وظيفة في منح الخطب زخماً وقوة. وبالعودة إلى المثال السابق من خطبة الحجاج الشهيرة حين ولي العراق، فإنني ألحظ أن استعماله للمؤكدات في هذا الموضع جاء على شكل ثلاثة "أنماط" متداخلة، ولكن القارئ المتمعن يستطيع تمييزها على أساس عدد المؤكدات في كل نمط، وذلك على النحو الآتي:

النمط الأول: وقد مر في ثلاثة مواضع من الخطبة، استعمل الحجاج أربعة مؤكدات في كل موضع، بحيث شكلت هذه المؤكدات الأربعة في المواضع الثلاثة نسيجاً عضوياً واحداً منح السياق قوة غير خافية[13]؛ فهو يقول أولاً: "أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله"، فنبه أولاً بـ "أما" ثم رفدها على وجه السرعة بقسم هو من القوة بمكان؛ لأنه يقسم فيه بالله تعالى،

ثم رفدهما بـ "إنّ" المشددة التي تنصب اسماً هو ضمير ياء المتكلم، التي تعود على الحجاج نفسه، ثم رفد هذه التوليفة القوية باللام الواقعة في جواب إنّ.

ثم قال في موضع متوسط من الخطبة: "أما والله لألحونّكم لحو العصا، ولأقرعنّكم قرع المروة، ولأعصبنّكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل"، فاستخدم في صدر هذه الجمل أربعة مؤكدات فعلت الفعل نفسه الذي فعلته الجملة السابقة، وهذه المؤكدات هي: "أما" المنبهة، فالقسم باسم الله تعالى، فاللام التي تقع في جواب القسم، وأخيراً بنون التوكيد المثقلة، ولم يكتف بهذا القدر فقط، وإنما زاد السياق قوة حين جاء بالفعل المطلق من الفعل "لألحونّكم"، ثم عطف على هذا الفعل ثلاثة أفعال لا تقل عنه قوة مؤكدة باللام الواقعة في جواب القسم والنون المثقلة، فضلاً عن الفعل المطلق من كل واحد منها، وهي الأفعال: "لأقرعنّكم" و"لأعصبنّكم" و"لأضربنّكم".

ثم قال قبيل انتهاء الخطبة: "أما والله لتستقيمنّ على طريق الحق، أو لأدعنّ لكل رجل منكم شغلاً في جسده"، وهي عبارة مؤكدة، على المنوال نفسه في العبارات السابقة، بـأربع مؤكدات كما يُلحظ، وهي: "أما" المنبهة، فالقسم باسم الله تعالى، فاللام التي تقع في جواب القسم، فنون التوكيد المثقلة، ثم عطف على الفعل "لتستقيمنّ" الفعل "لأدعنّ" وهذه قوة تضاف إلى الزخم السابق، للتأثير في السامعين من أهل العراق، للانصياع لرغبة الحجاج في ذلك الموقف[14].

النمط الثاني: وقد استخدم الحجاج في إطاره مؤكدين اثنين في مواضع متفرقة من الخطبة، وهو وإن كان – في مواضعه – أقل قوة من النمط الأول، فإن فائدته تبدو من خلال تشكيله زخماً يضاف إلى زخم النمط الأول. فهو يقول: "وإني لأرى أبصاراً طامحة، وأعناقاً متطاولة... وإني لصاحبها... إني والله يا أهل العراق... ولقد فُررت عن ذكاء... فإنكم لكأهل قرية... وإني والله لا أعد إلا وفيت... وإني أقسم بالله". إذ استخدم في هذه المواضع "إنّ" المؤكدة ست مرات، رفدها في ثلاثة مواضع بـ"لام الابتداء": "وإني لأرى – وإني لصاحبها – فإنكم لكأهل قرية"؛ بحيث أسندها في موضعين

منها لذاته، بإضافتها إلى "ياء المتكلم"، وفي المرة الثالثة إلى المخاطبين من خلال إضافتها إلى ضمير المخاطبين "ك". كما رفدها في ثلاثة مواضع بالقسم باسم الله تعالى: "إني والله - وإني والله - وإني أقسم بالله"؛ بحيث يبدو استخدامه لفظة "أقسم" في المرة الأخيرة شكلاً من أشكال التنويع التي لم تخلّ بقوة العبارة هنا، بل دفعتها بقدر من القوة. أما الموضع الوحيد الذي جاء خارجاً عن السياق الذي ولده تكرار استخدام "إن"، فهو استخدام الحجاج للمؤكدين: "لام الابتداء" و"قد" متلاصقين: "ولقد فُررت عن ذكاء".

النمط الثالث: وهو أضعف الأنماط قوة؛ نظراً لأن الحجاج هنا يستخدم مؤكداً واحداً فقط، وإن كان يلجأ للتكرار والتنويع أيضاً، فهو يقول: "ورؤوساً قد أينعت... وإنّ أمير المؤمنين... وإنّ أمير المؤمنين"، وذلك من خلال استخدام "إنّ" مرتين و"قد" مرة واحدة، والأمر الذي يلحظ هنا، أن إسناد "إن" لضمير المتكلم فيه من القوة أكثر مما في إسنادها إلى غيرها من الكلمات؛ وذلك لأن إسنادها إلى ضمير المتكلم يحمّل العبارة قدراً من القوة والزخم، التي توحي بتصميم المتكلم ولا سيما في مقام كمقام الحجاج على إنجاز ما يعد.

فالحال - إذن - أن هذه العوامل الثلاثة التي أشرت إليها: التنوع والتكرار وانتظام المؤكدات في أبنية الجمل، قد أسهمت في رفع مستوى "الإيقاع" في معظم الخطب، بالتآلف مع بقية العناصر البلاغية، التي سندرسها فيما سيلي من المحاور؛ فقد نوّع الحجاج في استخدام المؤكدات، انطلاقاً من "أن المبدع يحاول تلوين أسلوبه بحسب طبيعة من يوجه إليهم هذا الأسلوب"[15]، وكرر استخدامه لها في مواضع كثيرة من خطبه رغبة في التوكيد، والتوكيد" من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات، وإقرارها في قلوبهم إقراراً ينتهي إلى الإيمان بها، وقيمة التوكيد بدوام تكراره بالألفاظ عينها ما أمكن ذلك"[16]، ومن ثم جاء انتظام هذه المؤكدات في أبنية الجمل، بوصفه الإطار الشامل لهذه التوليفة المؤثرة، سعياً منه، وهو الخطيب البليغ الذي شهد له حتى خصومه بعلوّ سهمه في الخطابة[17]، للتأثير في المتلقين، والمتلقون في معظم هذه الخطب، هم من أهل العراق والحجاز خصوم الحجاج وخصوم سادته من آل مروان[18]،

وهم – في أغلبهم – من العرب الفصحاء الذين يحتاجون لهذا المستوى من الخطاب، لذلك فقد وظف الحجاج " قدرته البلاغية العالية التي مكنته منذ أول خطبة ألقاها في الكوفة، من نشر الرعب في قلوب الناس وإرغامهم على الانصياع له. . . ومنذ تلك الخطبة، وفصاحة الحجاج تصقل وتتجلى في أبهى صورها من خطب ورسائل وردود، والحجاج يحسن استغلالها في إشعال الحماسة، في نفوس أنصاره وأعوانه ونشر الرعب في قلوب أعدائه، والاحتجاج على خصومه وتبرئة ساحة أنصاره "[19].

ثانياً - الجمل الإنشائية

الإنشاء عند البلاغيين هو قسيم الخبر، وإذا كان الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، فإن الإنشاء لا يقبل أحد هذين الاحتمالين؛ وذلك لأنه يُطلب به حصول أمر غير حاصل وقت الطلب وهو ما يدعى "الإنشاء الطلبي"، فإن لم يطلب به حصول أمر غير حاصل وقت الطلب فإنه يدعى "الإنشاء غير الطلبي"[20]، وإذا كان توظيف الحجاج "للجمل الخبرية المؤكدة" قد آتى التأثير المميز الذي لحظناه فيما سبق، فإن توظيفه "الجمل الإنشائية" قد آتى التأثير نفسه تقريباً؛ بحيث يمكن القول إن الجملتين: الخبرية المؤكدة والإنشائية، قد منحتا الأسلوب قدراً كبيراً من الفعالية التي سبقت الإشارة إليها، والأمر الملحوظ في هذا الإطار هو توظيف الحجاج الجمل "الإنشائية الطلبية" بشكل بارز ومميز أكثر من توظيفه الجمل "الإنشائية غير الطلبية"؛ لذلك فإن التركيز هنا سينصب على الجمل الإنشائية الطلبية فقط من دون الإنشائية غير الطلبية.

والملاحظة ذاتها التي تم رصدها في المحور السابق من الكلام على استخدامه الجمل "الخبرية المؤكدة"، تنسحب على استخدامه الجمل "الإنشائية الطلبية" في هذا المحور أيضاً؛ إذ يُلحظ أن تنوع الجمل الإنشائية الطلبية من جهة، وتعددها من جهة ثانية، والثراء في صيغها ودلالاتها من جهة ثالثة، قد أسهمت جميعها في مد الخطب بهذه القوة الواضحة؛ الأمر الذي ستتم دراسته في المحاور الثلاثة التالية:

أ - التنوع والتعدّد: حيث يبرز التنوع هنا، من خلال توظيف الحجاج عناصر الإنشاء الطلبي الخمسة كلها، وهي: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء في معظم الخطب، والمقاطع التالية المقتطفة من بعض خطبه تدلل على استخدامه هذه العناصر كاملة، إذ يقول فيها: "يا أهل الكوفة، أما والله إني لأحمل الشر بحمله" / "أيها الناس من أعياه داؤه فعندي دواؤه" / "ألستم أصحابي بالأهواز؟... هل شغب شاغب، أو نعب ناعب...؟" / "وزعمتم أني أعلم الاسم الأكبر، فلم تقاتلون من يعلم ما لا تعلمون؟" / "وأمرنا [الله] بطلب الآخرة، فليته كفانا مؤونة الآخرة بطلب الدنيا" / "اخرجوا عنا، ولا تشهدوا معنا قتال عدونا، الحقوا بأهل الحيرة، فانزلوا مع اليهود والنصارى، ولا تقاتلوا معنا..." / "إياكم والزيغ فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله"[21]، إذ من الواضح أنه قد وظف العناصر الخمسة، مع تفاوت في نسب هذا التوظيف بين خطبة وأخرى كثرة وقلة.

ويؤدي التكرار إلى كثرة ملحوظة في أعداد هذه العناصر؛ الأمر الذي يمكن تلمّسه بإجراء إحصاء لعدد الجمل الإنشائية في الخطب؛ حيث يتبين أن استخدامه لها تكرر في خمسة وستين موضعاً، انحصر جلها في النداء والأمر والاستفهام، إذ وقع النداء في الصدارة بواقع ست وعشرين مرة، تلاه الأمر بتسع عشرة مرة، فالاستفهام بست عشرة مرة، في حين كان ورود كل من النهي والتمني قليلاً، بواقع ثلاث مرات للنهي ومرة واحدة للتمني.

ب - الثراء في الصيغ والدلالات: وهذا البعد يتولد نتيجة تنويع الحجاج في استخدام صيغ كل نوع من أنواع الإنشاء الطلبي الخمسة، فضلاً عن الثراء الذي يحمله عدد كبير من هذه الصيغ في الدلالات؛ فقد كان أكثر أنواع الإنشاء الطلبي وروداً في بنى الخطب كما لوحظ هو "النداء"، إذ ورد ستاً وعشرين مرة، ويقول البلاغيون إن النداء يأتي في صيغ لنداء القريب هي: "الهمزة" و"أي" وصيغ لنداء البعيد هي: "يا" و"أيا" و"هيا" و"آ" و"آي" و"وا"[22]. ويتبين أن الحجاج لم يستخدم من هذه الصيغ في خطبه سوى صيغتي: "يا" التي لنداء البعيد، و"أي" التي لنداء القريب مرتبطة بحرف التنبيه "هـ"،

لأغراض هي في معظمها، خارجة عن الغرض المباشر من النداء، وهو الطلب من المنادى الحضور أو الانتباه، ومن أبرز هذه الأغراض: مناداة القريب بأداة النداء الخاصة بالبعيد (يا) لغرض تحقيره أو زجره في العموم، ولا غرابة في ذلك؛ لأن (المتلقين/ المنادين) في معظم هذه المواقف، هم من أهل العراق أو الحجاز خصمائه السياسيين، فهو يقول مثلاً في أربعة مواضع متفرقة مقتطفة من خطبه: "... يا أهل الكوفة، أما والله إني لأحمل الشر بحمله... إني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق..." / "يا أهل العراق، إني لم أجد دواء أدوى لدائكم..." / "...يا أهل الكوفة، فلا أعز الله من أراد بكم العز..." / "...يا أهل الحجاز... والله لقد وطئكم الحجاج وطأة مشفق..."[23].

أما غرض مناداة القريب بأداة نداء البعيد لغرض رفع مكانته، فقد ورد في ثلاثة مواضع، وكان موجهاً لأهل الشام خاصة؛ إذ كان الحجاج يناديهم بأداة النداء نفسها التي ينادي بها أهل العراق والحجاز، وهي (يا) الخاصة بالبعيد لغرض رفع مكانتهم؛ لأنهم من فريقه السياسي كما تفيد السياقات، فهو يقول في إحدى هذه الخطب مثلاً: "يا أهل الشام، إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه، ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر، ويكنها من المطر... بل أنتم يا أهل الشام كما قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[24].

كما استخدم صيغة النداء "أيها" في سبعة مواضع مقترنة بلفظة "الناس"، وهي في الأغلب لإنزال القريب بمنزلة البعيد لغرض تحقيره؛ لأن المخاطبين في الأغلب هم أهل العراق، حيث يقول في إحداها مخاطباً أهل البصرة مهدداً ومتوعداً: "أيها الناس، من أعياه داؤه فعندي دواؤه" وقال في موضع آخر: "أيها الناس، إياكم والزيغ، فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله"، وقال في موضع آخر أيضاً: "أيها الناس، والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم"[25].

أما النوع الآخر من أنواع الإنشاء الطلبي "الأمر"، فقد استخدمه تسع عشرة مرة، جاء القدر الأكبر منها في صيغة "فعل الأمر" بواقع ثلاث عشرة

مرة، وأربع مرات باستخدام صيغة اسم الفعل: "إيّاكم وإيّاي"، فضلاً عن استخدامه صيغة الفعل المضارع المقترن باللام الواقعة في جواب القسم مرتين (لتستقيمنّ - لتقاتلنّ).

ومما يلفت الانتباه هنا أمران: أولهما أن الحجاج استخدم صيغ الأمر في هذه المواضع كلها من دون استثناء، لأغراض ودلالات خرجت عن الغرض الأصلي من فعل الأمر، وهو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى، وثانيهما أن النسبة الكبرى من هذه الأغراض والدلالات انحصرت في الأغراض التي اتخذت طابع الحدة، وهي: التهديد والوجوب والإهانة والتحقير[26]، وقد توزعت على أربعة عشر موضعاً من أصل تسعة عشر، ومن ذلك على سبيل المثال أقواله: "أما والله لتستقيمنّ على طريق الحق، أو لأدعنّ لكل رجل منكم شغلاً في جسده" - "والله لتقاتلنّ عن بلادكم وعن فيئكم، أو لأبعثنّ إلى قوم هم أطوع وأسمع" - "اخرجوا عنا، ولا تشهدوا معنا قتال عدونا، الحقوا بأهل الحيرة، فانزلوا مع اليهود والنصارى"[27]، أما المواضع الخمسة المتبقية، فقد توزعت الدلالات فيها على غرضي: النصح والإرشاد والدعاء، كقوله في الموضعين التاليين: "ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه" - "اللهم أرني الغي غياً فأجتنبه، وأرني الهدى هدى فأتبعه"[28].

ولا ريب في أن تركز النسبة الكبرى من هذه الأغراض والدلالات، في التهديد والوجوب والإهانة والتحقير، راجع إلى طبيعة المقامات التي كان الحجاج يلقي فيها معظم خطبه، وإلى طبيعة مخاطبيه، في أتون الخلافات السياسية والعسكرية آنذاك، ومن "المقرر أن الخطابة السياسية، تنشط وتزدهر في البيئات التي لا يتوافر فيها الاستقرار السياسي؛ لأنها فن يتجه إلى مخاطبة الجماعات، وإثارة مشاعر الجماهير وتحريك مشاعرهم"[29]، إذ ساعدته تلك الأجواء الملتهبة على أن يحد لسانه، ويخرج فصاحته الكامنة في داخله.

كما استخدم الاستفهام في ستة عشر موضعاً منحت الخطب زخماً لافتاً للانتباه، وذلك عن طريق التنويع في حروف الاستفهام وأسمائه، فضلاً عن الدلالات المتنوعة التي حملتها تلك الاستفهامات، فقد استفهم بـ: كيف

والهمزة المقترنة بأداة نفي وما وهل ولم وأين. وقد حملت تلك الاستفهامات معاني: الإنكار والإقرار والتعجب والإنكار للتوبيخ على أمر وقع في الماضي، والإنكار للتوبيخ على أمر وقع في الحال أو خيف وقوعه في المستقبل، والاستبعاد والتقرير والتعظيم[30].

ومن ذلك - على سبيل المثال - خطبته في أهل العراق بعد وقعة دير الجماجم[31]، التي ساق فيها مجموعة من الاستفهامات، غلبت عليها الاستفهامات الإنكارية لغرض التوبيخ على أمر وقع في الماضي، مع وجود غرضين آخرين: التعجب والتقرير، وذلك بحروف الاستفهام وأدواته: كيف والهمزة المقترنة بأداة النفي وما وهل، مع الأثر المهم الذي تحدثه الجمل المعطوفة في الاستفهام الأول، فزادت من وقع الإنكار التوبيخي، فهو ينكر عليهم أن يفيدوا من التجارب السابقة باستفهامه: "فكيف تنفعكم تجربة"، ثم يرفد ذلك بعدد من الجمل المعطوفة على هذا الاستفهام: "أو تعظكم وقعة، أو يحجزكم إسلام، أو ينفعكم بيان؟"، ثم يطلب منهم أن يقرّوا أنهم أصحابه بالأهواز بقوله: "ألستم أصحابي بالأهواز؟"، ويتبع ذلك بإظهار عجبه من يوم من أيام فشلهم وهو يوم الزاوية، باستفهامه: "ثم يوم الزاوية، وما يوم الزاوية ! بها كان فشلكم". وليس هذا هو اليوم الوحيد في نظر الحجاج الذي أخفق فيه أهل العراق؛ ذلك أن هذا التصور ينطبق على يوم آخر هو يوم دير الجماجم: "ثم يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم!". ويتبع ذلك من ثم باستفهامين إنكاريين آخرين يلعب العطف دوراً مهماً في إظهار حدتهما: "هل استخفكم ناكث، أو استغواكم غاو، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع، إلا تبعتموه وآويتموه، ونصرتموه وزكيتموه؟ يا أهل العراق، هل شغب شاغب، أو نعب ناعب، أو زفر زافر، إلا كنتم أتباعه وأنصاره؟". إلى أن ينكر عليهم عدم انتهائهم أو ازدجارهم مما مر بهم من مواعظ أو وقائع: "ألم تنهكم المواعظ، ألم تزجركم الوقائع؟".

ومن الأغراض الأخرى التي تخرج إليها استفهامات الحجاج في خطبه: التعظيم والاستبعاد؛ إذ يجد المرء غرض التعظيم في قوله مزهواً بالنصر، بعد أن قتل عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - مخاطباً أهل الحجاز: "موج ليل

التطم، وانجلى بضوء صبحه، يا أهل الحجاز، كيف رأيتموني؟ ألم أكشف ظلمة الجور وطخية الباطل بنور الحق؟"[32]، فهو يسأل لا ليفهم، وإنما ليظهر تعظيمه لنفسه، وطلبه الإقرار من أهل الحجاز بجدارة ما فعل وصوابه. أما الاستبعاد فيُلمس في موضع من خطبه الوعظية، وخطبه الوعظية قليلة العدد مقارنة بخطبه ذات الطابع السياسي والعسكري، فها هو ذا ينظر في إحداها فلا يرى أثراً لمن بطش وتجبر من ملوك الأرض، فيقول مستفهماً في موضع منها ليظهر استبعاده وجود أولئك الملوك والجبابرة: "...هذه شمس عاد وثمود وقرون كثيرة بين ذلك، هذه الشمس التي طلعت على التبابعة والأكاسرة، وخزائنهم السائرة بين أيديهم، وقصورهم المشيدة، ثم طلعت على قبورهم، أين الملوك الأولون، أين الجبابرة المتكبرون؟..."[33].

أما النهي والتمني، فهما الأقل وروداً في الخطب؛ إذ ورد النهي في ثلاثة مواضع، والتمني في موضع واحد، وعلى الرغم من قلة عدد ورودها في الخطب، فإنها تزيد في جمال الخطب وقوتها مع الأنواع السابقة من الجمل الإنشائية الطلبية، وهذا الجمال يأتي - بلا شك - من الدلالات المعنوية التي يثري بها النوعان الخطب؛ فالنهي يأتي في بنية نحوية هي "لا الناهية + الفعل المضارع"، ولكنه في هذه المواضع الثلاثة لا يأتي للغرض التقليدي من النهي، وهو طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء أو الإلزام، وإنما يخرج لثلاثة أغراض هي: الدعاء، والنصح والإرشاد، والتحقير الذي يحمل معنى التوبيخ[34]؛ فالحجاج يتوسل إلى ربه في إحدى خطبه الهادئة الإيقاع قائلاً: "...ولا تكلني إلى نفسي فأضل ضلالاً بعيداً..."[35]، فالنهي هنا يخرج إلى معنى الدعاء. في حين إنه يخرج إلى معنى النصح والإرشاد، عندما يخاطب الحجاج مستمعيه ناصحاً ومرشداً بقوله: "إن امرأً أتت عليه ساعة من عمره، لم يذكر فيها ربه، ويستغفر ربه من ذنبه، ويفكر في معاده، لجدير أن يطول حزنه... فلا يغرنّكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة"[36]؛ فهو نهي يفيد النصح والإرشاد، ولعل ما يزيده قوة هو هذه النون الثقيلة المؤكدة.

وفي موضع آخر من المواضع التي يرتفع فيها إيقاع الكلام بين الحجاج

ومخاطبيه، ينهى الحجاج ولكن لا لغرض النهي، وإنما لغرض تحقير مستمعيه من أهل الكوفة خصمائه عندما رأى عجزهم عن قتال عدوهم، قائلاً لهم: "أما بعد: يا أهل الكوفة... اخرجوا عنا... ولا تقاتلوا معنا..."[37]، فهو يأمرهم بالخروج عن صفه واللحاق بأهل الحيرة، وينهاهم عن أن يشهدوا الموقعة أو يقاتلوا معه، والغرض واضح وهو تحقيرهم عن هذا الغرض وتوبيخهم في آن معاً.

أما التمني فقد ورد في موضع واحد عندما خطب في أهل البصرة قائلاً: "إن الله كفانا مؤونة الدنيا، وأمرنا بطلب الآخرة، فليته كفانا مؤونة الآخرة بطلب الدنيا..."[38]، فهو يتمنى هنا باللفظ الأصلي للتمني وهو "ليت" ليطلب غرضاً محبباً للنفس، ولكنه غير مرجو الحصول؛ لأنه مستحيل، لأن الحصول على نعم الآخرة أمر مستحيل إلا بالجد في طلب الثواب.

فالزخم الذي أحدثته عناصر الإنشاء الطلبي في معظم الخطب، والمتزامن مع الفاعلية التي أحدثتها العناصر البلاغية الأخرى، يأتي من ثلاثة أبعاد: أولها تنويع الحجاج وتكراره لهذه العناصر في معظم الخطب، ويضاف إلى ذلك الثراء في الصيغ والدلالات، التي تركز معظمها في الدلالات ذات الطابع الحاد، كما مر بنا، وهي: التحقير والزجر والتهديد والوجوب والإهانة والإنكار والتعجب والاستبعاد والتقرير والتعظيم.

وثاني هذه الأبعاد، هو المقامات التي ألقى فيها معظم خطبه، والتي غلبت عليها الخصومة السياسية والعسكرية مع مخاطبيه، من أهل العراق والحجاز خاصة، أما ثالثها فهو "الأنا" المرتفعة لدى الحجاج، نتيجة التكوين النفسي لشخصيته المتعاظمة المتعالية؛ بحيث شكلت الخطب حيزاً مواتياً لإسقاط ما في نفسه في هذا الإطار، "ولا شك في أن أي موقف فكري أو عاطفي... يأخذ طريقه إلى التعبير بما يؤكد فردية صاحبه، ويمكن اعتباره وسيلة إسقاط تكشف عن طبيعة صاحبها وشخصيته الظاهرة أو الباطنة"[39].

المحور الثاني - بلاغة علم البيان

تأتي فاعلية التأثير البلاغي في هذا الجانب من ثلاثة نواح: التنوع والتعدد والقدرة على التأثير في المتلقين؛ فمن حيث التنوع فقد اشتملت الخطب ألواناً من فنون البيان الثلاثة: التشبيه والمجاز والكناية؛ إذ وردت فيها تشبيهات: تمثيلية وضمنية وبليغة، ومجازات مرسلة واستعارات تصريحية ومكنية، وكنايات عن صفة وعن موصوف وعن نسبة. أما التعدد فيأتي من كثرة إيراد الحجاج للصور والمؤثرات البيانية؛ بحيث استطعت أن أحصي مائة وثلاثين موضعاً وردت فيها هذه الصور والمؤثرات، التي سعى الحجاج للتأثير في المتلقين من خلال توظيفها، عن طريق إجادته في رسمها ومنحها إيحاءات بعيدة الأثر. وهي فيما يلي بشيء من التفصيل:

أولاً - التشبيه: فقد وظف الحجاج في هذه الخطب صوراً جميلة ومؤثرة من التشبيه في تسعة وعشرين موضعاً، حاز التشبيه التمثيلي العدد الأكبر منها؛ إذ ورد في ثلاثة عشر موضعاً، تلاه التشبيه الضمني في تسعة مواضع، ومن ثم التشبيه البليغ في ستة مواضع، فضلاً عن موضع واحد ورد فيه التشبيه المرسل المجمل.

ومن أبرز مواضع التشبيه التمثيلي، قوله مهدداً أهل الكوفة في خطبته الأولى حين ولي العراق بعد أن حسر اللثام عن وجهه: "...أما والله لألحونّكم لحو العصا، ولأقرعنّكم قرع المروة، ولأعصبنّكم عصب السلمة، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل..."[40]، فهو يرسم هنا أربع صور متوالية "لتعامله العنيف" الذي يتهدد أهل الكوفة ويتوعدهم به، ووجه الشبه بين صورة هذا التعامل من جهة، والصور الأربع المتوالية من جهة ثانية، صورة منتزعة من أشياء عدة في كل مرة؛ فهو يشبه هذا التعامل في أولى هذه الصور بصنيع من يزيل لحاء العصا عنها، ثم يشبهه في الثانية بفعل من يقرع الحجارة البيض بعضها ببعض لإشعال النار، ويشبهه في الثالثة بصورة من يخبط أغصان نبات السلمة ذي الشوك الكثير لإسقاط أوراقه وهشيم العيدان عنه، ومن ثم يشبهه في الرابعة بفعل من يضرب الإبل السود ضرباً شديداً. فالصور الأربع بليغة في بيانها عن

حال تهديده لهم، ويزيد في قوتها تواليها على هذا النحو من السرعة والتكثيف، مع استخدامه المؤكدات المتنوعة والكثيرة العدد في هذا الموضع.

ومن المواضع التي وظف فيها التشبيه الضمني، قوله في خطبته في مكة بعد قتله عبد الله بن الزبير: "ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها، وخلع طاعة الله، واستكن بحرم الله، ولو كان شيء مانعاً للعصاة، لمنع آدم حرمة الجنة؛ لأن الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأباحه جنته، فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته، وآدم على الله أكرم من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة"[41]. فقد أورد في هذه الخطبة القصيرة الموجزة صورتين، يفهم ضمناً أنه يشبه إحداهما بالأخرى ليقنع أهل مكة بصواب فعله الذي فعل، ذلك أنه يشبه حال الصحابي عبد الله بن الزبير، في خروجه على طاعة الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان وعصيانه له، بحال سيدنا آدم – عليه السلام – في معصيته لربه واستحقاقه الخروج من الجنة.

وبالإمكان التمثيل على "التشبيهات البليغة" عند الحجاج، من قوله في خطبته في أهل العراق بعد وقعة دير الجماجم؛ فقد عنّف أهل العراق على تقصيرهم في هذه الوقعة في صدر الخطبة، ثم التفت في ذيلها إلى أهل الشام المعروفين بولائهم للبيت الأموي، وقال لهم: " . . . يا أهل الشام، أنتم الجنة والرداء، وأنتم العدة والحذاء"[42]؛ فهذه العبارة – على قصرها – تحوي تشبيهين يعبر الحجاج بهما عن سروره بصنيع أهل الشام في ولائهم له ولآل أمية: إذ يشبههم في الأول بما يستر به المرء نفسه من غطاء، وفي الثاني بالعدّة ووسيلة الوقاية التي يتخذها المرء للدفاع عن نفسه؛ حيث تبرز بلاغة التعبير هنا من ثلاثة جوانب: أولها اختفاء أداة التشبيه ووجه الشبه في كل منهما، وهذا أبلغ وأدلّ على ما في ذهن القائل من مدى التشابه بين مكوّني التشبيه هنا، وثانيها توالي التشبيهين على هذا النحو من السرعة والتكثيف في هذه العبارة القصيرة، ذات الإيقاع الهادئ الذي جاء في إثر إيقاع صاخب، وثالثها ترادف لفظتين في التشبيهين كليهما "الجنة/ الرداء، – العدة/ الحذاء" مبالغة في غرس أثر التشبيهين في نفوس المتلقين.

ثانياً - المجاز اللغوي: وهو في اصطلاح البلاغيين، استعمال الألفاظ في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، وهو قسمان: المجاز المرسل والاستعارة[43]، وهو "من الوسائل التي تساعد على بلاغة التعبير وعلى جماله وحسن وقعه في نفوس المتذوقين؛ ذلك أن المعنى ينقل من مدلول اللفظ الأصلي أو الوصفي إلى مدلول جديد هو أكثر اتساعاً وأبعد أفقاً، وأدعى إلى التأمل، فيه تخلص من قيد العبارة وضيقها، وشعور بحرية الشاعر أو الأديب؛ لأنه يصب المعاني في القوالب التي تصورها خياله، والأشكال التي يستسيغها ذوقه"[44]. وقد تبين لي أن عناصر وفيرة من المجاز المرسل والاستعارة كليهما وردت في ثنيات الخطب.

وقد ورد المجاز المرسل في خمسة وأربعين موضعاً، في ست من علاقاته هي: المسببية والجزئية والكلية والمحلية والحالية والآلية. ولعل السبب في كثرة ورود المجاز المرسل - ولا سيما في علاقة "الكلية" - هو إكثار الحجاج من استعمال "صيغة النداء" كما مر سابقاً؛ ذلك أنه استعملها في ستة وعشرين موضعاً، واستعماله لصيغة النداء مناسب - ولا شك - لأجواء التهديد، في تعاطيه مع خصومه من أهل العراق والحجاز. والعلاقة بين "النداء" و"المجاز المرسل" تنبع من أن نداء الحجاج كان موجهاً لـ "الكلّ" في حين إنه كان يريد "الجزء" من المنادين؛ فهو يقول مثلاً: "إني والله يا أهل العراق" / "أيها الناس، من أعياه داؤه فعندي دواؤه" / "يا أهل الشام، إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه" / "يا أهل الكوفة، إن الفتنة تلقح بالنجوى" / "يا أهل الحجاز كيف رأيتموني"[45]. فهو عندما ينادي كلاً من أهل العراق والناس وأهل الشام والكوفة والحجاز، إنما يقصد الجزء لا الكل؛ لأنه ينادي من أمامه من الناس الذين يخطب فيهم وحسب.

أما المجاز المرسل ذو العلاقة "الجزئية" فقد ورد في الخطب في خمسة مواضع، منها قوله في خطبته في أهل العراق بعد وقعة دير الجماجم: "...إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم، وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم، لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة"[46]، فقد ذكر الجزء وهو "حسنة"

و"نعمة" وأراد الكل وهو الحسنات والنعم. كما ورد المجاز المرسل ذو العلاقة "المحلية" في سبعة مواضع، منها قوله حين وفد على الخليفة عبد الملك بن مروان بصحبة إبراهيم بن محمد بن طلحة، بقصد تقديمه للخليفة وإظهار منزلته العالية عنده، قال: "قدمت عليك أمير المؤمنين برجل الحجاز، لم أدع له بها نظيراً... وقد أحضرته ببابك". وقال في موضع آخر من إحدى خطبه في أهل الكوفة: "أما بعد يا أهل الكوفة، فلا أعز الله من أراد بكم العز... الحقوا بالحيرة..."[47]، فهو يشير في الموضع الأول إلى أنه أحضر ابن طلحة بـ "باب" الخليفة، وهو لا يقصد الباب بمعناه الحسي، وإنما ذكر "المحل" وهو الباب وأراد "الحال" وهو من بالباب من حجّاب الخليفة، كما طلب في الموضع الثاني من أهل الكوفة اللحاق بالحيرة، فذكر "المحل" وهو الحيرة وأراد "الحال" وهم أهل الحيرة.

ويبقى أخيراً ثلاث من علاقات المجاز المرسل وهي: الآلية التي وردت في موضعين، والمسببية والحالية وقد وردت كل منهما في موضع واحد، حيث يقول في موضع: "... ولو كان شيء مانعاً للعصاة، لمنع آدم حرمة الجنة لأن الله خلقه بيده..."، وفي موضع آخر: "... وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته..."، وفي موضع ثالث: "أما بعد يا أهل الكوفة... فانزلوا مع اليهود والنصارى ولا تقاتلوا معنا..."[48]؛ فهو يشير في الموضع الأول إلى أن الله خلق آدم بـ "يده" فعبر هنا باليد عن "قدرة الله"، واليد هي آلة قدرة الله، عز وجل، كما أشار في الموضع الثاني إلى أن الله لا يخذل دينه وخلافته، والإنسان هو السبب في إقامة الدين والخلافة، إذن فالدين والخلافة متسببان عن الإنسان، وهذا مجاز مرسل علاقته المسببية، كما طلب الحجاج في الموضع الثالث من هذه المواضع من أهل الكوفة أن ينزلوا مع اليهود والنصارى، فذكر "الحال" وهم اليهود والنصارى وأراد "المحل" وهو الحيرة.

أما "الاستعارة" وهي الشطر الثاني من "المجاز اللغوي" فقد وردت في ستة وثلاثين موضعاً، وفي هذا دلالة إضافية على اكتناز خطب الحجاج وكلامه بالعناصر البيانية إلى حد كبير. والاستعارة - كما يقول البلاغيون - هي اللفظ

المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه[49]. وقد وردت "الاستعارة التصريحية" في تسعة من هذه المواضع، في حين حازت "الاستعارة المكنية" الشطر الأكبر بورودها في سبعة وعشرين موضعاً. ولعلي أضرب هنا مثالين بمقاطع من خطبتين من خطبه القوية الشهيرة، أولهما مقطع من خطبته حين ولي العراق، إذ يقول: "...يا أهل الكوفة، أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله... وإني لأرى... رؤوساً قد أينعت وحان قطافها... وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق..."، والثاني من خطبته بعد قتله عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة، حيث يقول: "موج ليل التطم، وانجلى بضوئه صبحه، يا أهل الحجاز، كيف رأيتموني؟ ألم أكشف ظلمة الجور وطخية الباطل بنور الحق؟ والله لقد وطئكم الحجاج وطأة مشفق..."[50].

إذ يُلحظ أن الحجاج، في الموضع الأول من هذين الموضعين، قد شبه الشر بشيء يُحمل فذكر المشبه ولم يذكر المشبه به، وعطف على هذه الصورة بصورة أخرى شبه فيها الشر بقدم توضع في حذاء، فذكر المشبه ولم يذكر المشبه به، في تهديد منه للمخاطبين من أهل الكوفة بأنه قادر على حمل الشر لهم إن هم حملوه له، وأنه كذلك قادر على السير لهم به إن هم اتخذوه قدماً يسيرون بها إليه، وهاتان استعارتان مكنيتان. والتهديد لمّا ينقطع بعد، حيث يتبع الصورتين السابقتين بصورتين أشد إرهاباً، والمفارقة هنا أن هاتين الصورتين المرعبتين مقتبستان من منبع لطيف هو صورة النبات حين يثمر والماء حين يصفو ويرق، حيث يشبه رؤوس أهل الكوفة بنبات أينع وأصبح جاهزاً للقطاف، كما يشبه الدماء التي ستسيل بين العمائم واللحى بالماء الرقراق، فذكر المشبه ولم يذكر المشبه به في الصورتين وهاتان استعارتان مكنيتان أيضاً.

أما الموضع الثاني فقد جاء فيه بمجموعة من الصور رسمها في مخيلة أهل الحجاز، وذلك حين شبه خروج عبد الله بن الزبير ومن في صحبته على الأمويين، وما تولد عن ذلك من شدة، بموج بحر شديد التطم في عتمة الليل،

ثم شبه انتهاء المواجهة بين الفريقين بضوء جاء بصبح جديد. ثم أعاد – قاصداً – تكرار الصورتين السابقتين ذاتهما في سبيل توكيد المعنى في أذهان المخاطبين، وذلك بتشبيهه خروج ابن الزبير بالظلام ومن ثم قتله بالنور، ثم أردف بصورة خامسة شبه فيها انتصاره على أهل الحجاز بوطئه لهم، فهذه خمس صور نلحظ أنه ذكر فيها المشبه به ولم يذكر المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

ثالثا – الكناية: وهي – كما يعرفها عبد القاهر الجرجاني – "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه"[51]. وقد وردت في الخطب في عشرين موضعاً، عشر منها كناية عن صفة، وثمان منها كناية عن موصوف، فضلاً عن موضعين اثنين وردت فيهما كناية عن نسبة.

ومن المواضع التي وردت فيها "كناية عن صفة"، قول الحجاج في خطبته في مكة بعد قتله عبد الله بن الزبير: "ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة... وخلع طاعة الله..."، وقوله مهدداً أهل البصرة "...إنما أفسدكم ترنيق ولاتكم، ومن استرخى لببه ساء أدبه، إن الحزم والعزم سلباني سوطي، وأبدلاني به سيفي، فقائمه في يدي ونجاده في عنقي..."[52]. فقد أراد في الموضع الأول من هذين الموضعين أن يصف ابن الزبير بصفة "العصيان"، فكنّى عن ذلك بوصفه أنه "خلع طاعة الله". كما أراد في الموضع الثاني أن يصف مخاطبيه من أهل البصرة بصفة "الاستهتار" في طاعة وليّ الأمر نتيجة تراخي من كان قبله من الولاة في أخذهم بالحزم، فكنى عن ذلك بوصفهم بقوله: "ومن استرخى لببه ساء أدبه"، واللبب هو صدر الدابة حين يشد لمنع حمولتها من السقوط[53]، كناية عن أن اللين معهم أدى بهم إلى سوء الأدب والاستهتار في طاعة ولي الأمر. كما أراد في الموضع ذاته أن يصف نفسه بصفة "القوة والشدة"، فأشار إلى ذلك بأن "قائم السيف في يده ونجاده في عنقه"، كناية عن القوة والشدة والحزم التي سيأخذ المخاطبين بها.

ومن المواضع التي وردت فها "كناية عن موصوف"، قول الحجاج في

إحدى خطبه في البصرة: "عذيري من أهل هذه الحميراء... عذيري من عبد هذيل يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب"، وقوله في خطبة له حين أرجف أهل العراق بموته: "...ولقد دعا الله العبد الصالح فقال: "رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي"..."[54]. فقد قصد في الموضع الأول، إلى السخرية من الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فكنى عنه بـ "عبد هذيل" إشارة إلى صفة العبودية التي كان يعيشها ابن مسعود، حين كان يرعى الغنم لقومه من بني هذيل في الجاهلية، أما الموضع الثاني فقد كنى فيه بصفة "العبد الصالح" عن سيدنا سليمان، عليه السلام.

ويبقى أخيراً الموضع الذي وردت فيه "كناية عن نسبة"، وهو قول الحجاج في خطبته الشهيرة التي سبقت الإشارة إليها في أكثر من موضع حين ولي العراق، حيث قال فيها: "...إني والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين..."[55]؛ ذلك أنه أراد أن ينفي عن نفسه أمام مخاطبيه صفتي: الخوف واللين. والعرب حين تريد أن تصف امرأ ما بالخوف تقول عنه: فلان يقعقع له بالشنان، أو يغمز جانباه كتغماز التين. وهذا فيه تصريح بالصفة مع نسبتها إلى شيء من متعلقات الموصوف، والشنان جمع شنّ وهو القربة البالية، والرعاة يحركونها إذا أرادوا حثّ الإبل على السير بتخويفها[56]، وهذا فيه كناية عن صفة "الخوف" عند الإبل وذلك بالنسبة إلى شيء من متعلقاتها وهو تحريك الشنّ لتخويفها. أما التين فثمر من أبرز صفاته اللين، وهذه العبارة كناية عن صفة "اللين"، وذلك بالنسبة إلى شيء من لوازم هذه الثمرة وهو صفة اللين. إذن، فهاتان كنايتان عن نسبة، أراد الحجاج أن ينفي الصفتين الجوهريتين فيهما عن نفسه في إطار تهدده لأهل الكوفة.

إذن، يمكن النظر إلى الفعالية التي تؤديها العناصر البيانية، في الأمثلة التي مرت بنا في هذا الجزء من الدراسة خاصة، وفي غيرها من المواضع في خطب الحجاج عامة، من خلال تصوّر "دائرة الإبداع" التي نظّر لها الناقد شكري عياد، والتي تتمثل أركانها في الثالوث: "المبدع والنص والمتلقي"[57]؛ فالمبدع هنا هو الحجاج، الذي جهد في خطبه إلى إسقاط الواقع الذي غلب عليه التوتر

السياسي آنذاك، بين الأمويين وخصومهم من أهل العراق والحجاز، وإلى إسقاط ما في نفسه من رغبة جامحة في فرض هيبة الدولة الأموية؛ الأمر الذي تجلى في براعته الواضحة في إبداع هذه (النصوص/ الخطب)، من خلال إجادته في رسم الصور البيانية المعبرة في التشبيهات والاستعارات، وتوظيف إيحاءات المجازات المرسلة والكنايات، وما يلي ذلك من توظيفه الأدوات اللغوية: كالألفاظ الجزلة، والأفعال المطلقة المتوالية بسرعة، والمؤكدات المتنوعة والألفاظ المترادفة، رغبة منه في التأثير في المتلقين، من أهل العراق والحجاز والشام، في تلك الأجواء السياسية المحتقنة، التي مثلت السياق الخارجي، الذي يغلف (السياقات الداخلية/ النصوص).

والشاهد هنا، أن هذه العناصر البيانية، مثلت أدوات فاعلة للحجاج لإبراز قدراته البيانية من جهة، ولسعيه للتأثير في المخاطبين للامتثال لأوامره ورغباته من جهة ثانية؛ إذ ليس "كل تشبيه جميلاً، ولا كل استعارة محببة، ولا كل كناية مستساغة، وليس مجرد الإتيان بالصور البيانية والمعطيات البديعية عملاً بليغاً، وإنما البلاغة تكمن في حسن استعمال هذه الأمور ومنحها القدرة على توضيح المعاني، وتوسيع مدى الإيحاء، وجمال التعبير، وعمق التأثير، وتهذيب الذوق الفني، وتحريك المشاعر والعواطف وصقلها"[58]. وقد تحدث بلاغيونا العرب القدماء، عن جماليات هذه العناصر البيانية بأنواعها المختلفة، وقدراتها على التأثير في النفوس، ويكفي أن نستشهد هنا بعدد من أقوالهم لبيان ذلك، حيث يقول القزويني عن فضل التشبيه: "وإذ قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح، فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به، لا سيما قسم التمثيل منه، يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك"[59]، ويقول ابن رشيق القيرواني عن فضل المجاز عامة: "والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع"[60]. أما عبد القاهر الجرجاني، فإنه يرى أن الاستعارة "هي أمد ميداناً، وأشد افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعة وأبعد غَوراً، وأذهب نجداً في الصناعة وغَوراً، من

أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم، وأسحر سِحراً، وأملأ بكل ما يملأ صدراً، ويمتع عقلاً، ويؤنِس نفساً، ويوفر أنساً، وأهدى إلى أن تهدِي إليك أبداً عذَارى قد تخير لها الجمال"[61]، ويقول في موضع آخر عن مزية الكناية: "أما "الكناية" فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح، أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً؛ وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها والأمر ظاهر ومعروف وبحيث لا يُشك فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط"[62]. والجامع في كلامهم هنا، هي الفعالية التي تولدها هذه العناصر البيانية، من خلال قدرة المبدع على تحريك نفوس المتلقين للتلذذ بالصور والإيحاءات فيها أولاً، ومن ثم التأثير الذي تولده فيهم للتماشي مع فكر المبدع وتوجهاته؛ الأمر الذي أظن أنه قد توافر للحجاج هنا.

المحور الثالث - بلاغة علم البديع

وهي المحسنات التي تساق في الكلام، لتحسينه وتجميله بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة فيه، ويقسمها البلاغيون إلى ضربين: محسنات لفظية، وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى اللفظ أصالة، وإن حسّنت المعنى تبعاً لتحسين اللفظ، ومنها السجع والجناس. ومحسنات معنوية، وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى، وإن كان بعضها يفيد تحسين اللفظ، ومنها الطباق والمقابلة والتورية.

وتأتي فعالية تأثيرها البلاغي في خطب الحجاج من ثلاثة جوانب: أولها التنوع؛ إذ اشتملت الخطب ألوانًا من المحسنات اللفظية والمعنوية، هي: السجع والجناس والطباق والمقابلة والتورية واللف والنشر. وثانيها التكرار، وذلك ناتج من ورود الألوان الستة المشار إليها في مائة وستة وخمسين موضعاً، كما تبين لي من الإحصاء العي الذي أجريته. أما الجانب الثالث فهو أداؤها الدور التحسيني التجميلي للألفاظ والمعاني في الخطب، وهو الدور الطبيعي

الذي يُرتجى منها في العادة في النصوص النثرية الرائعة التي خلفها لنا تراثنا العربي القديم، والتي من بينها خطب الحجاج.

أولاً – المحسنات اللفظية: وقد ورد منها في الخطب محسنان، هما: السجع والجناس، والسجع – كما يعرفه البلاغيون – هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهو في النثر كالقافية في الشعر(63)، ولا تكاد تخلو منه خطبة من خطب الحجاج، وهذا الأمر ليس بمستغرب؛ لأن الخطبة في ذلك الزمان كانت تنبني في المقام الأول على السجع أكثر من غيره من ألوان المحسنات البديعية الأخرى، لذلك فقد أحصيت ثلاثة وتسعين موضعاً، كل موضع منها ينطوي على مجموعة من الفواصل. ولعلي أضرب مثالاً هنا، من إحدى خطبه التي تحوي أمثلة على معظم المحسنات البديعية "اللفظية والمعنوية"، التي أحصيتها في خطب الحجاج عامة، وهي خطبته لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق ويتوعدهم حيث قال: "أيها الناس: من أعياه داؤه فعندي دواؤه، ومن استطال أجله فعليّ أن أعجله، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله، ومن استطال ماضي أجله قصّرت عليه باقيه، إن للشيطان طيفاً وللسلطان سيفاً، فمن سقمت سريرته صحت عقوبته، ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه، ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة، ومن سبقته بادرة فمه سبق بدنه بسفك دمه، إني أنذر ثم لا أنظر، وأحذّر ثم لا أعذر، وأتوعد ثم لا أعفو، إنما أفسدكم ترنيق ولاتكم، ومن استرخى لببه ساء أدبه، إن الحزم والعزم سلباني سوطي وأبدلاني به سيفي، فقائمه في يدي ونجاده في عنقي وذبابه قلادة لمن عصاني، والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد، فيخرج من الباب الذي يليه، إلا ضربت عنقه"(64). ويجد القارئ أن الخطبة بنيت في معظمها، على توالي الفواصل المختومة بحرف واحد على النحو التالي:

- "من أعياه داؤه فعندي دواؤه".
- "ومن استطال أجله فعليّ أن أعجله".
- "ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله".

- "ومن استطال ماضي أجله قصّرت عليه باقيه".
- "إن للشيطان طيفاً وللسلطان سيفاً".
- "فمن سقمت سريرته صحت عقوبته، ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه".
- "ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة".
- "ومن سبقته بادرة فمه سبق بدنه بسفك دمه".
- "إني أنذر ثم لا أنظر، وأحذّر ثم لا أعذر".
- "ومن استرخى لببه ساء أدبه".
- "إن الحزم والعزم سلباني سوطي وأبدلاني به سيفي، فقائمه في يدي ونجاده في عنقي وذبابه قلادة لمن عصاني".

أما الجناس، فهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى، والبلاغيون يقسمونه إلى أكثر من نوع استناداً إلى معايير معينة، من أبرزها تقسيمه إلى: الجناس التام وهو ما اتفق فيه اللفظان في نوع الحروف وهيئتها وعددها وترتيبها، مع الاختلاف في معنيي اللفظتين، والجناس الناقص وهو ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر، مع اتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب(65). وقد أحصيت في هذه الخطب سبعة عشر موضعاً ورد فيها "جناس ناقص" من دون أنواع الجناس الأخرى، منها ثمانية مواضع في الخطبة التي اقتطفت منها الاقتباس السابق. فالجناس الناقص يقع في هذه الخطبة بين لفظتي: "داؤه" و"دواؤه" لأن الثانية تزيد عن الأولى بحرف الواو، ويقع بين لفظتي: "طيفاً" و"سيفاً"؛ لأن الفرق بينهما هو حرفا الطاء والسين، ويقع كذلك بين لفظتي: "فمه" و"دمه" لأن الاختلاف بينهما يقع في حرفي الفاء والدال، ويقع كذلك بين لفظتي: "أنذر" و"أنظر" إذ الفرق بينهما حرفا الذال والظاء، وبين لفظتي: "الحزم" و"العزم" والفرق بينهما حرفا الحاء والعين.

ثانياً - المحسنات المعنوية: والألوان التي وردت منها في هذه الخطب هي: الطباق والمقابلة والتورية واللف والنشر. وقد أحصيت خمسة وعشرين موضعاً ورد فيها طباق، وسبعة عشر موضعاً وردت فيها مقابلة، فضلاً عن

موضعين وردت فيهما تورية وموضعين ورد فيهما لف ونشر. والطباق - كما يعرفه البلاغيون - هو الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز[66]، فالحجاج يقابل في الخطبة السابقة بين لفظتي: "داؤه" و"دواؤه" في قوله: "من أعياه داؤه فعندي دواؤه"؛ لأن الداء يقابل الدواء ويضاده في المعنى، ويقابل بين لفظتي: "أجله" و"أعجّله" في قوله: "ومن استطال أجله فعليّ أن أعجله"؛ لأن التأجيل يضاد التعجيل في المعنى ويقابله، ويقابل كذلك بين لفظتي: "أحذّر" و"لا أعذر" في قوله: "وأحذّر ثم لا أعذر"؛ لأن التحذير يقابل نفي قبول العذر، ويقابل بين لفظتي: "سلباني" و"أبدلاني" في قوله: "إن الحزم والعزم سلباني سوطي وأبدلاني به سيفي"؛ لأن لفظة "أبدلاني" تحمل معنى الإعطاء والمنح وهذا يضاد معنى السلب.

أما المقابلة فهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب[67]؛ كأن يأتي بأشياء في صدر كلامه ويأتي بأضدادها في عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني. ومن ذلك قول الحجاج في الخطبة السابقة: "ومن استطال ماضي أجله قصّرت عليه باقيه"، فهو قد جاء بمعنيين هما: "استطال" و"ماضي أجله"، ثم قابل الأول بـ"قصّرت" والثاني بـ"باقيه" على الترتيب. ومنه قوله في الموضع ذاته: "فمن سقمت سريرته صحّت عقوبته"، إذ جاء بمعنيين هما: "سقمت" و"سريرته"، ثم قابل الأول بـ"صحّت" والثاني بـ"عقوبته" على الترتيب. وكذلك قوله: "ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه"، فقد جاء بمعنيين هما: "وضعه" و"ذنبه"، ثم قابل الأول بـ"رفعه" والثاني بـ"صلبه" على الترتيب كذلك. وقال أخيراً في الخطبة ذاتها: "ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة"، إذ جاء بمعنيين هما: "تسعه" و"العافية"، ثم قابل الأول بـ"تضق عنه" والثانية بـ"الهلكة" على الترتيب أيضاً.

والتورية هي أن يُطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما[68]. ومن ذلك في هذه الخطب، قول الحجاج في خطبته الأولى في أهل العراق:

" . . .وإن أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً. . . "[69]، فلفظة "العود" تحمل معنيين: أحدهما قريب وهو غصن الشجرة اليابس، وهو الظاهر هنا ولكنه غير المراد، إذ المراد هو "السلاح"؛ ذلك أن العود يصلح أن يكون سلاحاً. ومن ذلك أيضاً قوله في إحدى خطبه الوعظية: " . . .إننا والله ما خلقنا للفناء، وإنما خلقنا للبقاء، وإنما ننتقل من دار إلى دار"[70]، فلفظة "الدار" الثانية تحمل معنيين: أحدهما قريب، وهو منزل السكنى وهو الظاهر ولكنه غير المراد أيضاً، بل المراد المعنى الثاني البعيد وهو الدار الآخرة.

أما "اللف والنشر"، فهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه[71]، ومن ذلك قول الحجاج في إحدى خطبه الوعظية: " . . .فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاماً وزماماً، فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وعطفها بزمامها عن معصية الله. . . "[72]، فقد ذكر الخطام والزمام على سبيل الإيجاز، ثم فصّل فجعل الخطام أداة لتوجيه النفس البشرية إلى طاعة الله، والزمام أداة لعطفها عن معصيته، عز وجل. وقال في خطبة وعظية أخرى: " . . .إن الله كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا بقاء لما كتب عليه الفناء، ولا فناء لما كتب عليه البقاء. . . "[73]، فذكر الدنيا والآخرة على سبيل الإيجاز أيضاً، وفصّل فنفى عن الدنيا صفة البقاء وعن الآخرة صفة الفناء.

فالمحسنات البديعية هي ثالثة الركائز التي قامت عليها بلاغة الحجاج في خطبه، بالتآلف مع العناصر المعنوية والبيانية؛ ذلك أنها أضفت على الخطب جمالاً ورونقاً من جهة، ومنحتها قوة وفعالية بارزة من جهة ثانية، مكنت الحجاج من فرض إرادته في محاجته لخصومه، ولا يجدر الظن – في النظرية البلاغية العامة – بأنها أقل قدراً أو تأثيراً من العناصر المعنوية أو البيانية، على اعتبار أنها مجرد حلية في يد المبدع، فهي – كما يقول أحمد بدوي – حلية في يد الفنان، ولكنها ليست "حلية تقتسر، ولا زينة يستغني الكلام عنها، ولا زخرفة يأتي دورها، بعد أن يكون المعنى قد استوفى تمامه، ولا يجيء مكانه في

المرتبة الثالثة، بعد استيفاء علمي المعاني والبيان حقهما، فإن الإنتاج الأدبي يبرز إلى الوجود في نظمه الخاص، وبه الصور البيانية، والمحسنات البديعية دفعة واحدة، فكأنما هذا المحسن البديعي جاء في مكانه ليقوم بنصيبه من أداء المعنى أولاً، أما ما فيه من جمال لفظي، فقد جاء من أن تلك الكلمة بالذات يتطلبها المعنى ويقتضي المجيء بها" (74).

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن الفعالية التي أسهمت بها العناصر البلاغية في ظهور هذه الخطب بهذه القوة، قد تحققت نتيجة ثلاثة عوامل: أولها التنوع؛ فقد توزعت تلك العناصر بين عناصر معنوية وبيانية وبديعية؛ إذ اعتمد الحجاج في النوع الأول على مؤكدات الجمل الخبرية بشكل واضح وملموس، كما وظف أنواع الإنشاء الطلبي الخمسة: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، واشتملت الخطب في النوع الثاني ألواناً من فنون البيان الثلاثة: التشبيه والمجاز والكناية؛ إذ وردت فيها تشبيهات: تمثيلية وضمنية وبليغة، ومجازات مرسلة واستعارات تصريحية ومكنية، وكنايات عن صفة وعن موصوف وعن نسبة، واشتملت كذلك في النوع الثالث ألواناً من المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية: السجع والجناس والطباق والمقابلة والتورية.

وثانيها التعدد الناتج من كثرة تكرار تلك العناصر البلاغية؛ إذ وظف الحجاج تسعة مؤكدات من أصل ثلاثة عشر مؤكداً من مؤكدات الجمل الخبرية، تكررت في مائة وستة وأربعين موضعاً، في العدد الكلي لخطبه، الذي بلغ أربعاً وعشرين خطبة، كما تكرر ورود أنواع الإنشاء الطلبي عنده في خمسة وستين موضعاً. أما أنواع البيان الثلاثة: التشبيه والمجاز والكناية، فقد تكرر ورودها في مائة وثلاثين موضعاً، في حين تكررت أنواع المحسنات البديعية في مائة وستة وخمسين موضعاً عنده.

أما ثالثها، فهو الثراء الذي أمدت به هذه العناصر البلاغية الخطب، بالدلالات والصور البلاغية والمؤثرات البعيدة الإيحاءات؛ فقد أسهمت مؤكدات

الجمل الخبرية في رفع مستوى إيقاع الخطاب، حتى غدت الخطب في طابعها العام مجلجلة مدوية، كما تنوعت دلالات أنواع الإنشاء الطلبي بين أغراض: التحقير والزجر والتهديد والوجوب والإهانة والإنكار والتعجب والاستبعاد والتقرير والتعظيم، فضلاً عن النصح والإرشاد والدعاء. وتعددت الصور البلاغية بين: تشبيهات تمثيلية وضمنية وبليغة واستعارات تصريحية ومكنية، فضلاً عن ورود المجاز المرسل في عدد ليس بالقليل من علاقاته: المسببية والجزئية والكلية والمحلية والحالية والآلية، وورود الكنايات في أشكالها الثلاثة: كناية عن صفة، وكناية عن موصوف وكناية عن نسبة. كما وردت المحسنات البديعية بشكليها: اللفظية والمعنوية، إذ حوت الخطب منها: السجع والجناس والطباق والمقابلة والتورية.

وبذلك يكون (المبدع/ الحجاج)، قد تمكن من إسقاط ما في نفسه من عظمة وتعال ورغبة في تثبيت هيبة الدولة الأموية، عن طريق توظيف هذه (النصوص/ الخطب) الزاخرة بهذا القدر الوفير من العناصر البلاغية، بوصفها واحدة من معالم قوة هذه الخطب وسبب خلودها، للتأثير في (المتلقين/ المخاطبين) وهم في أغلبهم من خصومه السياسيين والعسكريين، من أهل العراق والحجاز خاصة؛ بغية إخضاعهم وبث الرعب في نفوسهم، في تلك السياقات التي غلبت عليها أجواء الضغينة والتهديد والوعيد.

الهوامش والمراجع

(1) انظر هذه المقالات في: صفوت، أحمد زكي: **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، ج2، ط1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، 1352هـ/ 1933م، ص 325 – 330، 384، 385. وج3، ص 267 24 – 269.

(2) يرى الباحث أن الحديث عن سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي، يعد من نافلة القول؛ لأن الرجل غني عن التعريف، فضلاً عن تناثر المعلومات بكثرة عن جوانب من سيرته، في المصادر والمراجع القديمة والحديثة، لذلك أحيل القارئ إلى المؤلفات التالية للنظر في جوانب من سيرته:

– ابن كثير، الحافظ عماد الدين: **البداية والنهاية**، أشرف على تحقيقه: مصطفى بن العدوي، ج9، ط1، المنصورة: دار ابن رجب، 1425هـ/ 2005م، ص 2 – 276.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، ج2، بيروت: دار صادر، د ت، ص 29 - 54.

- زيادة، محمود: **الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه**، ط1، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ / 1995م، ص 9 - 66.

- سليمان، صبحي: **الحجاج بن يوسف الثقفي، ما له وما عليه**، القاهرة: الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، د ت، ص 6 - 35.

(3) انظر في ذلك:

- السكاكي، أبو يعقوب يوسف: **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ / 1987م، ص 166، 167.

- القزويني، جلال الدين محمد: **الإيضاح في علوم البلاغة**، قدم له وبوبه وشرحه: علي أبو ملحم، ط2، بيروت: دار مكتبة الهلال، 1991م، ص 38، 39.

(4) الهاشمي، السيد أحمد: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، بيروت: المكتبة العصرية، د ت، ص 57، 58.

- عباس، فضل حسن: **البلاغة: فنونها وأفنانها**، ج1، ط3، إربد: دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، 1992م، ص 113، 114.

(5) الصعيدي، عبد المتعال: **البلاغة العالية، علم المعاني**، ط2، القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها، 1411هـ / 1991م، ص 44.

- البلاغة: فنونها وأفنانها، ج1، ص 114 - 121.

- عتيق، عبد العزيز: **علم المعاني**، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 1427هـ / 2006م، ص 41 - 46.

(6) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 273 - 289، 444، 446.

(7) يعد توظيف "المعيار الكمي" أو "الإحصاء العددي" من الأدوات المهمة التي قد تسهم في الوصول إلى نتائج دقيقة إلى حد كبير، يقول محمد عبد المطلب في هذا الإطار: "والذي - لا شك فيه - أن المنهج الإحصائي أصبح صاحب اليد الطولى في مجال الأسلوبيات، باعتباره نموذجاً للدقة العلمية التي لا تترك مجالاً لذاتية الناقد أو الباحث كي تنفذ إلى العمل الأدبي (...) وحجة أصحاب الإحصائيات، تعتمد على أن دقة ظهور سمة لغوية في تعبير أديب معين - لا تكفي في إدراكها النظرة العابرة، أو الحاسة الذوقية، بل لا بد من الارتكاز على علم الإحصاء الذي يصل بالناقد إلى الدقة العلمية المطلوبة": **البلاغة والأسلوبية**، ط1، القاهرة: دار نوبار للطباعة، 1994م، ص 198 - 201. لكن وعلى الرغم من ذلك فقد حذر أساتذة ومنظرو الدراسات الأسلوبية، من خطورة الإسراف في الاعتماد عليه. انظر كذلك كلاماً عن محاسن ومساوئ المعيار الكمي في الدراسات الأسلوبية في: جيرو، بيير: **الأسلوب والأسلوبية**، ترجمة: منذر عياشي، بيروت: مركز الإنماء القومي، د ت،

ص 86، 87. والسيد، شفيع: **الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي**، القاهرة: دار الفكر العربي، د ت، ص 175 – 189.

(8) البلاغة فنونها وأفنانها، ج1، ص 114.

(9) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 274 – 277.

(10) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 276 – 277.

(11) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 287.

(12) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 57، 58.

(13) يقول محمد خطابي في هذا الإطار: "تشكل كل متتالية من الجمل... نصاً، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية سابقة أو لاحقة": **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب**، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991م، ص 13.

(14) يقول صلاح فضل: "إلّا أن توجه البلاغة نحو ابتغاء الأسلوب الجيد، لم يكن سوى أحد أهدافها الكثيرة؛ هذه الأهداف التي تتركز – في مجملها – في الوصول إلى القواعد والنماذج، التي يستطيع بها المتكلم أو الخطيب أن يؤثر في جمهوره، ويحركه بحججه المقنعة، فالقول البلاغي – إذن – يهدف إلى الإقناع بوسائل مختلفة بهدف تحريك السامع عاطفياً لتبني موقف الخطيب": **علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته** ط1، القاهرة: دار الشروق، 1419هـ / 998م، ص 176.

(15) البلاغة والأسلوبية، ص 234.

(16) بدوي، أحمد محمد: **من بلاغة القرآن**، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، ص 112.

(17) روى الجاحظ عن أبي عبد الله الثقفي عن عمه قال: "سمعت الحسن يقول: لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج. قلت: وإن كلام الحجاج ليقذك؟ قال نعم، سمعته على هذه الأعواد يقول: إن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له، لخليق أن تطول حسرته". وقال في موضع آخر: "وقد زعم رؤبة بن العجاج وأبو عمرو بن العلاء، أنهما لم يريا قرويين أفصح من الحسن والحجاج": **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط7، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص 163. وج2، ص 193، 219.

(18) يقول مصطفى الشماغ: "وللحجاج اعتقاد غريب في خليفة المسلمين، وفي أسلوب طاعته، لم يسبقه إليه أحد من الولاة، فهو يرى، أن خليفة المسلمين تتجمع فيه صفات كاملة تجعله فوق مصاف البشر، ويرى أنه مؤيد بالولاية، معصوم من خطأ القول وزلل الفعل، وهو يقول: إن من يخدم الخليفة فقد خدم الحق، ومن خرج عليه فقد حاد عن طريق الرشاد وجاز قتله": "الحجاج بن يوسف"، **مجلة التراث العربي**، اتحاد الكتاب العرب، سورية: مجلد 12، العدد 45، 1991م، ص 56.

(19) الدخيل، ليلى بنت محمد: "صورة الحجاج في شعر معاصريه"، **مجلة العلوم العربية**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: العدد 16، رجب 1431هـ، ص 248.

(20) مفتاح العلوم، ص 302 – 304.

– الإيضاح في علوم البلاغة، ص 131.

– الجندي، درويش: **علم المعاني**، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د ت، ص21 – 54.

(21) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 275 – 284، 446.

(22) مفتاح العلوم، ص 101.

– البلاغة فنونها وأفنانها، ج1، ص 163 – 165.

(23) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 275 – 276، 283، 446، 497.

(24) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 280 – 281.

(25) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 278، 284، 444.

(26) انظر كلام القزويني عن المعاني التي يخرج إليها "الأمر": الإيضاح في علوم البلاغة، ص 140، 141.

(27) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 276، 277، 444، 446.

(28) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 283، 289.

(29) النص، إحسان: **الخطابة العربية في عصرها الذهبي**، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1382هـ/ 1963م، ص 147.

(30) انظر كلام السكاكي والقزويني، عن المعاني التي يخرج إليها "الاستفهام": مفتاح العلوم، ص 313 – 315. والإيضاح في علوم البلاغة، ص 136 – 140.

(31) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 279، 280.

(32) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 497.

(33) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 287.

(34) انظر كلام السكاكي عن المعاني التي يخرج إليها "النهي": مفتاح العلوم، ص 320. وانظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 54، 55.

(35) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 289.

(36) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 289.

(37) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 446.

(38) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 282.

(39) البلاغة والأسلوبية، ص ص 228، 229.

(40) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 276.

(41) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 273، 274.

(42) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 281.

(43) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن: **أسرار البلاغة في علم البيان**، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، جدة: دار المدني، د ت، ص 351، 352.

- مفتاح العلوم، ص 361 وما بعدها

- الإيضاح في علوم البلاغة، ص 231.

(44) أبو حاقة، أحمد: **البلاغة والتحليل الأدبي**، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1988م، ص 166.

(45) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 276، 278، 280، 281، 497.

(46) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 280.

(47) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 382، 446.

(48) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 274، 280، 446.

(49) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن: **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، د ت، ص 67.

- مفتاح العلوم، ص 369.

- الإيضاح في علوم البلاغة، ص 241.

- المصري، أحمد: **قطوف من بلاغة العرب**، ط1، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2007م، ص 65.

(50) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 275، 497.

(51) دلائل الإعجاز، ص 66. وانظر في ذلك كلام القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 273.

(52) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي، ص 274، 278.

(53) المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ/ 2005م، ص 811.

(54) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 282، 286.

(55) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 276.

(56) المعجم الوسيط، ص 496، 497.

(57) انظر عياد، شكري: **دائرة الإبداع، مقدمة في أصول النقد**، القاهرة: دار الياس العصرية، 1987م، ص 95 – 169.

(58) البلاغة والتحليل الأدبي، ص 6.

(59) الإيضاح في علوم البلاغة، ص 189.

(60) القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ج1، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ/ 2001م، ص 268.

(61) أسرار البلاغة في علم البيان، ص 42.

(62) دلائل الإعجاز، ص 72.

(63) الإيضاح في علوم البلاغة، ص 325.

– أبو شوارب، محمد، وأحمد المصري: **قطوف بلاغية**، ط1، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2006، ص 85، 131 – 186، 210 – 237.

(64) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 278.

(65) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج1، ص 322.

– الإيضاح في علوم البلاغة، ص 318 – 321.

– البلاغة فنونها وأفنانها، ج2، ص 297 – 300.

(66) أسرار البلاغة في علم البيان، ص 20.

– العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج1، ص 340.

– الإيضاح في علوم البلاغة، ص 287.

– جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 220.

(67) الإيضاح في علوم البلاغة، ص 291.

– البلاغة فنونها وأفنانها، ج2، ص 275.

(68) الإيضاح في علوم البلاغة، ص 299.

– البلاغة فنونها وأفنانها، ج2، ص 280.

(69) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 276.

(70) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 288.

(71) الإيضاح في علوم البلاغة، ص 300.

– البلاغة فنونها وأفنانها، ج2، ص 294.

(72) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 288.

(73) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص 289.

(74) من بلاغة القرآن، ص 140.

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
صدر العدد الأول منها في يناير عام 1975م

رئيس التحرير

أ. د. عبدالله أحمد المهنا

ترحب المجلة بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف علوم البحث والدراسة .

ومن أبوابها

- البحوث العربية.
- البحوث الإنجليزية.
- عرض الكتب ومراجعتها .
- البيبلوجرافيا العربية.
- ملخصات الرسائل الجامعية: ماجستير - دكتوراه.
- التقارير : مؤتمرات - ندوات

الاشتراكات

ترسل قيمة الاشتراك مقدماً بشيك لأمر - جامعة الكويت
مسحوب على أحد المصارف الكويتية

داخل دولة الكويت : للأفراد : 3 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول العربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول الغير عربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً

توجه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

Tel.: (+965) 24833215 - 24984066 - 24984067 Fax: (+965) 24833705 P.O. Box 17073 Al-Khaldiah, 72451 Kuwait
www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jgaps E - mail : jgaps@ku.edu.kw
www.ku.edu.kw